

العدالة الاجتماعية

الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه .

فأين نحن منها وأين هي منها ، رأسمالية خلعت على نفسها ثوباً اشتراكياً شفافاً يزدان ببريق المظهر الخادع استحياء أو خوفاً من المذهب الشيوعى . وشيوعية سافرة بمبادئها الهدامة . وتظل الأمم الضعيفة تترقب سوء مصيرها بعين القلق ، فمنها ما انطوى تحت سيطرة المعتدى الظالم وبعضها حائر في مفترق الطرق تهزه التيارات السياسية هزاً عنيفاً . وبعضها الآخر لا يعلم ما يحبته له ضمير الغيب . .

وما دام العالم لا يستطيع منع الشر والعدوان ، ولا في طوره نشر العدالة والطمأنينة ، وما دام إدراكه لم يصل بعد إلى مستوى يشعره بأن الأرض يرثها عباد الله الصالحين ، وأن الناس إخوة في جميع أنحاء المعمورة . . مادام العالم على هذه الحالة المؤلمة المتذبذبة فالواجب يفرض علينا أن نلتفت إلى أنفسنا ونتدبر أمورنا فيما بيننا لنحفظ كياننا ، وليس في مقدورنا أن نكون مجتمعاً قادراً على تحمل أعباء الحياة بخيرها وشرها لاتزعزع المبادئ المحرمة . مجتمع شعاره الاستقرار والاطمئنان . لانستطيع أن نكون مثل هذا المجتمع إلا إذا عرفنا الأسس الذى تقوم عليه دعائمه . فالحرية والاخاء والمساواة هي حجر الأساس في كيان الأمة القوية السعيدة . والناس بسليقتهم عاشقون للحرية ، بذلوا وما زالوا يبذلون في سبيلها أعز ما يملكون . ولا عجب إذ دفعتهم نفوسهم العريضة إلى ساحة النضال والشرف ، فهم ولدوا أحراراً ويجب أن يعيشوا أحراراً وأن يموتوا أحراراً . .

والتجرد من الماديات التي أصبحت من مميزات هذا العصر يحتاج إلى نوع من التضحية قد براها بعضنا جسيمة . ويراها الآخرون أمراً هيناً يجب ألا يقف في سبيل الإصلاح .

والمساواة عنصر جوهري في خلق الأمة الحية الناهضة فطالما وجدت الفوارق وجدت الضغينة وحل التذمر ، ولا يظن أحد أن المساواة يجب أن تكون في المعيشة والمنزلة ففي هذا خلاف للحياة الواقعة ، ويقول الله تعالى : أهم

العدالة بالمعنى الذى تنطوى عليه هذه الكلمة ، ليس لها وجود على ظهر الأرض ، ففي العصور القديمة كانت الحياة فوضى لا حد لها وزعة الشر هي المسيطرة على النفوس ، وقد ظلت قوانين الغاب تفتك فتكا ذريعاً في الضعفاء . وبمرور الزمن أحس الإنسان بحاجة ملحة تدفعه إلى التعاون وأخذ يدرك أن الشر لا يورث إلا شرأ مثله ، وراح الناس يتلبسون طرق النجاة من حياة الشقاء التي تغلق عليهم راحتهم وتعكر صفو حياتهم . وأخذت تملو صيحات الأحرار تطالب بالمساواة والمحبة والتعاون وبرز من بينهم الرؤساء والزعماء والقادة ، خرج كل منهم برنامج كافل للأفراد والجماعات حقوقهم ومعيناً واجباتهم .

وقد تمخض هذا التطور العجيب عن مذاهب متباينة . ثم برز الدين الإسلامى ونزل القرآن الكريم ، بحث الناس على أن يكون أمرهم شورى بينهم ، ونظم أصول الحكم ليرتاح الحاكم ويطمئن المحكوم . يألها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ووضع نظاماً للسلطة وسأوى بين الناس لافرق بين كبير وصغير ، ففي الدنيا أمرنا بالصلاة ليقف الناس على اختلاف مشاربهم وتباين نزعاتهم جنباً إلى جنب ، ووعدنا بالحشر يوم البعث جميعاً في صعيد واحد ، وأمرنا بالصيام لتتخذ من الجوع والعطش حكمة في المساواة والرحمة للفقير والمعوذين . وفرض الزكاة وجعل في أموال الأغنياء حقاً للسائل والمحروم لتخف وطأة العوز على الفقراء وتزكى الأغنياء . خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، وهكذا أرسى القرآن دعائم المجتمع الصحيح وثبت مقوماته .

وطبق النبي عليه السلام ما جاء في القرآن تطبيقاً صحيحاً ، وحذا حذوه الخلفاء الراشدون ، فترى أبا بكر يبين سياسته في أول خطبة ألقاها بعد انتخابه خليفة للمسلمين : يا أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنتم فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني . أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ، وهذا عمر بن الخطاب يقول : ألا إن أقوامكم عندى

يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، ورحمة ربك خير مما يجمعون . ، أما المساواة التي أعنيها فهي على حد قوله تعالى : وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، فيكون الجميع سواء أمام قانون معقول مستمد من الشريعة الإسلامية الخالدة ، على أن يجتهد واضعوا هذا القانون في أن يكون مسائراً لروح العصر الحديث . لاحقوق مهضومة ولا استغلال من أصحاب النفوذ . واستثمار لمرافق البلاد لمصلحتها ورفاهتها . وتسهيل لكل عامل كادح مهمته كي يستغل مواهبه التي أسبغها الله عليه ليأخذ نصيبه في الحياة ، والعدالة تحتم أن نفسح المجال للمصلحين ليشاركوا في تحمل المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتق وطنهم . وأن يعطى الواحد منا بقدر ما يبذل . وأن ترسم المثل العليا للشعب . وأن يطمئن إلى أنه لا يعيش غريباً في بلاده . ولا فائدة من عدالة صورية تسخرها المطامع وتعبث بها الأهواء .

إن العدالة الحقة هي العدالة الحرة التي تنبعث من أعماق الضمائر المؤمنة .

يوسف محمد السابحي

مهزلة في مهزلة

رواية شعرية هزلية للمسرح المدرسي

وضع فكرتها: حمد رجب

نظمها شعراً: أحمد العدواني

ترقبوا ظهورها قريباً

همسات ...

كفني الآلام بالصمت ولوذني بالسكوت
وأزجري الذكري إذ خفت إلى الماضي المقيت
قالت الدنيا لأهليها مقال الناصحين
جهل الحكمة قوم جعلوا الأحزان ديناً

فأسبق الفجر بفجر من أغانيك الحسان
وأخلفه حين يطوي به الضحى بين المغاني
واهتفي للبذر والشمس وللشهب اللوامع
وأرقص للجدول السكران والطيور السواجع
وخذي عن وردة البستان أسرار الحياة
أذكرت سحر شذاها فازدهت بالبسمات

عرف القصص أناس تحذوا الأفراح فناً
كلما أجدب معنى لهم حلو بمنى
وإذا ضاقت بهم دار مضو عنها لدار
وهبوا أيامهم للأنس حتى .. في القفار

كل ما جدد في النفس شعوراً بالوجود
وأراها صوراً تُفصّل عن حس جديد
فاجعله هدف المسعى وعنوان السعادة
وتتمكن منك استجاباتٍ إليه وعبادة

يا ابنة الأحلام بي ما بك من جرح وحزن
مكر الدهر بآ ما لي ولم يشفق بفي
غير أني لأرى فيما جرى حولي ويجري
غير أطياف ستمضي قبل أن أفقد صبري !
خبرت نفسي الليالي فاستخفت بالليالي
وعدت لا أُنكر العيش على أية حال ..

أحمد العدواني